اثر الرواية الموضوعة و الضعيفة في موضوعة التفسير بالأثر

دراسة نقدية

د.حسين سامي عبد الصاحب

كلية الفقه /جامعة الكوفة

أثر الرواية الموضوعة و الضعيفة في موضوعية التفسير بالأثر
دراسة نقدية

أولا:

ليس من الجديد في بابه الحديث عن ظاهرة الوضع في الحديث الشريف,فهي ظاهرة تناولها القدماء بالتصنيف[i] و حدب المتأخرون على تشخيص منابعها و نشر آثارها[ii] كما اهتم المعاصرون بدراستها أسبابا ونتائج و ضوابط و آليات ومناهج[iii], كما ونوقشت فيها العديد من الرسائل الجامعية الرصينة[iv].

وفيما يبدو أن ما نتج عن عملية الوضع من المئات بل الآلاف من الروايات المختلقة ,التي لم تعالج أو تناقش في حينها,وبتقادم القرون عليها ، أصبح جزءاً كبيراً منها يمثل واقعاً عقائدياً في أعراف الناس و مجتمعاتهم,خصوصاً بعد أن تضمنتها الأصول المعتمدة التي كانت تنقل دون تمحيص و دراية في جملة من أبوابها و فصولها,الأمر الذي حدا ببعض الأعلام المعاصرين للإشارة و التنبيه إلى خطأ شائع ما زال هناك من يصر على صحته و هو : (أنّ دعوى القطع بصدور جميع روايات الكتب الأربعة من المعصومين عليهم السلام واضحة البطلان ويؤكد ذلك إن أرباب هذه الكتب بأنفسهم لم يكونوا يعتقدون ذلك)[v].

وقد شاءت الظروف أن تمتد مخاطر سرطان الوضع ليضرب مفاصل وبُنى الدين الإسلامي بوصفه دين أخلاق وعقيدة و تشريع,و هي آفة لا يشعر بخطورتها ألا من ينظر إلى الأمر نظرة مسؤولة موضوعية وجادة من واقع إن الحديث الشريف الذي يتضمن قول و فعل وتقرير المعصوم يمثل المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بل أن بعض العلماء ذهب إلى القول ((إن الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب و أنها تقضي عليه))[vi] قال الشاطبي(فكأن السنة بمنزلة التفسير و الشرح لمعاني القرآن فمعنى كونها قاضية :أنها مبينة له)[vii]

وحيث أن تفسير القرآن بالقرآن يعد من أرقى مصادر التفسير و مناهجه,و لهذا(اعتمده كثير من السلف الصالح و سار عليه المتشرعة حتى زمننا الحاضر.والحق انه يعد عاملاً مساعداً في كشف عيون التأويل و استخراج كنوز القرآن .ولكنه لا يستوعب القرآن تفسيراً ما لم يضم إليه الأثر واللغة)[viii]

قال السيد الخوئي في مقدمة تفسيره(وسيجد القارئ أيضا إني كثيرا ما استعين بالآية على فهم أختها واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القران,ثم اجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة)[ix]

وحيث أن مثل هذا التفسير- رغم أهميته – لا يفي بمتطلبات القرآن بأجمعه كان اعتماد المفسرين على الحديث الشريف أو السنة النبوية أو ما أطلق عليه بالأثر في تفسيرهم لكتاب الله بالدرجة الأولى بعد المنهج القرآني الذي نوهنا عنه.

ثانيا: التفسير بالمأثور وأهميته.

المراد بالمأثور هو الأثر الصحيح الوارد عن النبي و آله عليهم السلام أو الصحابة و التابعين مرفوعاً إليه((فان أعياك ذلك - أي فهم القرآن بالقرآن- فعليك بالسنه فإنها شارحة للقرآن و موضحة له ,بل قد قال الأمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : كل ما حكم به رسول الله(ص) فهو مما فهمه من القران)[x]

و مدرك هذا التفسير السنة الشريفة و الرواية الثابتة الصحيحة عن الأهل أو المرفوعة إلى النبي (ص) عن الصحابة أو من في حكمهم من أوائل التابعين.

و لا شك أن السنة شارحة للقرآن و مبينة لمجمله و موضحة لغامضه وقد روي عن النبي (ص) قوله(ألا و إني أوتيت القرآن و مثله معه((يعني السنة)))[xi].و لا ريب إن السنة القطعية الصدور عن النبي (ص) و أهل البيت (ع) هي عدل القرآن ٍفي شرح كلياته وتفصيل مجملاته و تقيد مطلقاته وتخصيص عمومياته,إلا إن مثل هذه السنة القطعية أو ما نعني به التواتر هي قليلة جدا و لا تفي بتفسير الكم الكبير من الآيات القرآنية,و حينها لم يكن أمام المفسرين سوى اللجوء إلى إخبار الآحاد التي لا تفيد علماً و لا عملاً على حد تعبير الشيخ الطوسي[xii] إلا بعد اجتيازها لعدة شروط كفيلة بأن تضعها في مصاف الروايات الصحيحة.

قال الشيخ الطوسي(ت 460هـ): (واعلم أن الرواية ظاهرة في إخبار أصحابنا بان تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (ص) وعن الأئمة عليهم السلام الذين قولهم حجة كقول النبي (ص) و أن القول بالرأي لا يجوز)[xiii]

فالتفسير بالمأثور أو هو ما يسمى عموما بالمصدر النقلي لتفسير القرآن (هو مصدر له أهميته الخاصة في تفسير القرآن لأنه يصدر عن صاحب الرسالة و آله و أصحابه فما توافرت لدينا الأدلة على صحة سنده مرفوعاً إلى النبي (ص) كان يكون متواتراً مثلا؟ وجب قبوله وهو حجة علينا لا يجوز إغفاله,و ما لم تصح نسبته من جهة السند أو التعارض الذي تطرح به الروايات أو لمخالفته سيرة المتشرعة و العقل السديد و ظواهر الكتاب و مصادر اللغة و طبيعة الفهم الموضوعي أو نسبة رواية للضعف أو الجهل أو الكذب أو السهو أو النسيان وجب رده وعدم العمل به و اعتباره لا يمثل المراد من كلام الله تعالى)[xiv]

ثالثا : دور أهل البيت (ع)

بعد عصر الرسول (ص) تولى أهل البيت (ع) مهمة الحفاظ على السنة الشريفة حيث مثّل حديثهم جزءاً مهما منها,و اقترن عند الأمامية تحت عنوان واحد و هو لفظ(المعصوم)[xv] و كان لهم دورهم المشهود في التصدي لظاهرة الوضع في الحديث من خلال عدة مناهج توافرت على دراستها مليا ،احدى الباحثات المعاصرات[xvi].

إن الدور الكبير للأئمة (ع) في محاربة وكشف الوضع، كان ذا اثر بالغ في تحجيم هذه العملية في الأوساط العلمية إلى حد كبير.

و بالتالي فقد كان للروايات الصادرة عنهم دورا أساسيا في فهم القرآن الكريم و آياته الدالة على العقائد و الأحكام.و رفضهم القاطع لأعمال الرأي و القياس كأدوات استدلالية في الشريعة الإسلامية.

غير أن الخرق كبير جدا و الرقعة اصغر بكثير - كما يعبرون – فلم تكن ظاهرة الوضع عنصر التخريب الوحيد في ساحة الحديث,و إنما تظافرت عناصر عديدة لتحد من عملية الإصلاح التي تبناها أهل البيت (ع) ,فباستثناء الدس والوضع و التزوير على أحاديثهم ، كانت هناك ظاهرة الغلو و التطرف في حبهم و الاعتقاد بهم (ع) . وكان لهذه الحركة السياسية و العقائدية أسبابها وظروفها المختلفة السياسية و الاجتماعية و النفسية و الثقافية وانعكست على الأخبار في فهمها أو تزويرها و تحريفها ، وفي كتب رجال الحديث فيها عدد من تراجم من كان يرمى بالغلو أو ممن طردهم أئمة أهل البيت من حوزتهم و مصاحبتهم و أعلنوا البراءة منهم.

وفضلا عما سبق ، كان للأنحرافات و الانشقاقات التي كانت تحصل في جماعة أتباع أهل البيت (ع) اثر كبير بسبب الظروف السياسية أو الأخلاقية و الاجتماعية كما حصل في ظهور الزيدية و الأسماعلية و الواقفة و غيرهم .اذ استمرت هذه الظاهرة إلى زمن الامام العسكري (ع) و بعده.

و كان لظروف الاضطهاد و المطاردة و السرية في العمل و الحركة شأن كبير في هذا المجال. الأمر الذي كان سببا مهما لأختفاء البيانات الواقعية أو الدس و التزوير تحت شعار التقية.

يضاف إلى ذلك عدم الدقة في النقل أو سوء الفهم في التلقي و الأخذ عن الأئمة.و لذلك نجدهم يؤكدون الضبط و أهميته من ناحية وان في أحاديثهم المحكم والمتشابه من ناحية أخرى .فضلاً عن ضياع الكثير من القرائن الحالية و المقالية التي كانت تقترن بالروايات و الأحاديث و توضح المقصود منها[xvii].

رابعاً : مسؤولية المفسر.

لهذه الأسباب و أسباب أخرى ليس هناك مجال للإطالة فيها,تتجلى حقيقة واقعة لا مجال لإنكارها ، هي إن الباب كان مفتوحا على مصراعيه لكل من هب و دب أن يتقول عن النبي و آل بيته الأطهار، فيتخيل و ينتقي الصور و الألفاظ و المعاني و يصوغ ما بدا له من روايات و حكايات و قصص و خرافات و أباطيل و أساطير ما انزل الله بها من سلطان,ثم يأتي العلماء المصنفون لكي يثبتوا هذه الترهات في كتب الحديث ويقرؤها الناس ، معتقدين بصحة و واقعية كل ما ورد فيها, على أنها جزء من التراث العقائدي أو التشريعي أو حتى الأخلاقي.

اذاً كان على المفسر - بخاصة - أن ينظر إلى مثل هذه الروايات نظرة الفاحص الخبير المدقق الذي يمتلك موازين الحس والعقل الحصيف فضلاً عن الأدوات التي تمكنه من التصدي لمثل هذه القضية الكبرى التي تتعلق بالقرآن الكريم الذي هو معجزة الإسلام الكبرى التي تحدى بها الله تعالى الأمم و الشعوب والقبائل

بما جاءت به من حسن النظم والتأليف و بلاغة الفن القولي و كشف الغيب من المجهول، و إبانة التشريع و الإحكام وسرد قصص و أحاديث الماضين و أنبائه عما وقع و سيقع.

كان على المفسر أن يتحلى بجملة من الآداب،منها الموضوعية في العمل ومنها النفسية من قبيل صحة الاعتقاد ,و الإخلاص و التفويض و التدبر و التفكر [xviii].

تلك المسالة الأهم التي أكدها القران الكريم ذاته في جملة من المناسبات، منها قوله تعالى:(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ)[xix] و قوله تعالى(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[xx] و قوله تعالى(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)[xxi] و قوله تعالى (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ)[xxii].

و مع هذا التأكيد الواضح الجلي فأننا نجد نسبة الالتزام بالتدبر من قبل المفسرين لا تتواءم معه نظراً لاحتواء هذه التفاسير على الضعيف و الموضوع و المرسل من الروايات وبنسبة كبيرة تفوق حدود الوصف.

وفي الوقت الذي نعذر فيه أصحاب الكتب الأربعة المعتمدة لدى الأمامية لأنهم أشاروا في مقدماتهم إلى احتمالية وجود الضعيف و غيره في كتبهم , ونعتذر لهم عن ذلك كون الظروف المحيطة بهم كانت لا تساعد على التمحيص والتدقيق في الروايات و إنما كانت محاولاتهم مكرسة للجمع بعد ضياع الكثير أملاً منهم أن يأتي فيما بعد من يتصدى لمهمة الفرز والتحقيق في مصداقية تلك الروايات.

و بالتالي كان أمام المفسر الذي يعتمد الأثر في تفسيره مسؤوليتان خطيرتان .الأولى: تدقيق و تمحيص الروايات المستخدمة في تفسيره للقرآن و هذا يستدعي معرفة الرجال و اللجوء للجرح والتعديل لتشخيص مواطن القوة و الضعف في صفات الراوي . و الثانية :عملية اختيار ما يتناسب منها مع موضوع الآية ,كأسباب النزول المرتبطة بالضرورة بأسباب الصدور عن المعصوم, و البحث عن القرائن التي تؤكد علاقة الرواية الصحيحة بالآية موضوع البحث و هكذا؛ لذلك اشترطوا في المفسر أن يتحلى بما اسماه بعض أساتذتنا بالآداب الفنية[xxiii] .و هي مجموعة الفنون و العلوم و الطاقات التي يتذرع بها المفسر لخوض لجج التفسير. فهي أدواته و آلاته و هي قدراته و ملكاته , التي أشار إليها السيوطي معتبرا أن من فسر القرآن بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه ,و هي اللغة ,النحو,التصريف ,الاشتقاق ,المعاني ,البيان ,البديع ,القراءآت, أصول الدين, أصول الدين , أصول الفقه, أسباب النزول و القصص , الناسخ المنسوخ, الفقه,الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.....[xxiv] .

وقبل السيوطي نبّه الزركشي إلى بعض الملاحظات و الآداب الخاصة بالمفسر بقوله((و يجب أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر و أن يحترز في ذلك من النقص المفسر عما يحتاج إليه من إيضاح المعنى المفسّر أو أن لا يكون في ذلك المعنى زيادة لا تليق بالغرض أو أن يكون في المفسّر زيغ عن المعنى المفسر و عدول عن طريقه حتى يكون غير مناسب له ولو من بعض إنحائه بل يجتهد في أن

يكون وفقه من جميع الأنحاء و عليه بمراعاة الوضع الحقيقي و المجازي ومراعاة التأليف و أن يوفق بين المفردات و تلميح الوقائع فعند ذلك تنفجر له ينابيع الفوائد))[xxv].

في ظل هذه التوصيات و الضوابط والشروط التي تسالم علماء جميع الفرق الإسلامية على موضوعيتها ومشروعيتها, ندرك مدى خطورة التصدي لتفسير القرآن الكريم بغض النظر عن نوع المناهج المستخدمة في هذا التفسير ,و لعل أهمها في هذا الباب هو التفسير بالأثر الوارد عن المعصومين(ع).و التي يتحمل مسؤولية العناية بها شخص المفسر الذي تصدى لهذه العملية.

خامساً : نظرة فاحصة إلى واقع بعض التفاسير المعتمدة على الأثر.

1- جاء في تفسير علي بن إبراهيم القمي (ت هـ) في ذيل الآية الشريفة (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)[xxvi] قوله (حدثني أبي عن النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان عن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام :إن هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب فالبعوضة أمير المؤمنين وما فوقها رسول الله والدليل على ذلك قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) يعني أمير المؤمنين كما اخذ الميثاق عليهم)[xxvii]

ولمناقشة هذا التفسير من ناحية سند الرواية التي اعتمد عليها ,فأن المعلى بن خنيس الذي روى هذا الحديث عن الإمام الصادق مباشرة هو غير موثق لدى علماء الرجال . فالنجاشي يقول في حقه :(هو ضعيف جدا لا يعول عليه)[xxviii] ,و يقول ابن الغضائري كما ينقل العلامة الحلي عنه :(الغلاة يضيفون إليه كثيراً ولا أرى الاعتماد على شيء من حديثه) [xxix].

إما بالنسبة إلى الراوي الثاني (قاسم بن سليمان)فهو ضعيف أيضا بحسب تحقيق المامقاني الذي يقول عنه :(قد ضعّف الرجل غير واحد)[xxx]. و بذلك لا يبقى لهذه الرواية من اعتبار.

أما من ناحية دلالة المتن ,فلا يخفى أن الآية موضوع البحث جاءت في مقام التحقير و المورد التافه لا مقام الإجلال و التعظيم ,حيث تقول : إن الله لا يستحيي من اجل هداية الناس أن يمثل بشيء حقير و تافه كالبعوضة كما

نقرأ في سور قرآنية أخرى استخدمت الغرض نفسه مثل : التمثيل ببيت العنكبوت الواهي.

وبذلك – حسب الرواية – يعد تمثيل الإمام علي (ع) بالبعوضة نوعا من الأهانة الصريحة لمقامه العظيم, خصوصاً إذا علمنا أن المفسرين يرون أن عبارة (**فَمَا فَوْقَهَا**) الواردة في الآية الشريفة تشير إلى تفاهة البعوضة كما ذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره:(قيل فما فوقها في الصغر و القلة لأن الغرض هاهنا الصغر ....)[xxxi] . فتأمل فداحة الخطب حين يكون مصداق(**فَمَا فَوْقَهَا**) هو رسول الله (ص) حسب هذا التفسير حيث إن مقام الرسول الأكرم(ص) يكون أدنى من مقام أمير المؤمنين (ع), و هذا المعنى مخالف لضروريات الإسلام كما هو واضح .

و قضلاً عن ذلك لنا أن نتساءل ما هي علاقة الآية الشريفة (**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**) بمقولة إن المراد من البعوضة هي أمير المؤمنين(ع)؟.

2- ورد في تفسير محمد بن مسعود العياشي (ت 320هـ) لقوله تعالى (**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**)[xxxii] :عن هارون بن محمد الحلبي قال :سألت أبا عبد الله عن قول الله :يا بني إسرائيل ,قال :هم نحن خاصة.

وفي ذيل الرواية يقول :عن محمد بن علي عن أبي عبد الله (ع) قال :سألته عن قوله (**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**)قال :هي خاصة بآل محمد .

ثم يقول : عن أبي داود عمن سمع رسول الله يقول: أنا عبد الله اسمي احمد و أنا عبد الله اسمي إسرائيل)[xxxiii].

و هذه ثلاث روايات لا تصلح سنداً لتفسير القرآن بها ,حيث أن العياشي ذاته رغم كونه مورد وثوق علماء الأمامية[xxxiv] و لكن جميع رواته ليسوا من الثقاة .فالنجاشي يقول فيه انه (كان يروي عن الضعفاء كثيراً)[xxxv] و ذكر العلامة الحلي ذات التعبير في حقه[xxxvi].

أما الرواية الأولى فأن راويها (هارون بن محمد)رجل مجهول في كتب الحديث إذ لم يرد له ذكر فيها ,وفي الرواية الثانية لم يذكر السند كاملا بل حذف بعضه و تم إرساله ,و في الثالثة نقرأ عبارة (عمن سمع رسول الله)و هذا التعبير ليس محل اعتبار كما لا يخفى. و عليه لا يمكن الاعتماد على مثل هذا السند في تفسير القرآن.

أما مدلول الرواية فمن الواضح انه مختلق عن أئمة أهل البيت عليهم السلام و المراد به توجيه الإهانة- و العياذ بالله- لهؤلاء الأولياء العظماء.فلو افترضنا جدلا إن اسم الرسول (ص) هو إسرائيل و إن آله عليهم السلام هم بنو إسرائيل المذكورون في القرآن الكريم ,فسوف نواجه مشكلة اكبر و هي إن القرآن يذكر في سورة البقرة ذاتها انه يذم بني إسرائيل بشدة و يخاطبهم الله تعالى من موقع

التقريع و التوبيخ فيقول :(وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)[xxxvii],وكذا يتحدث القرآن عن فساد بني إسرائيل فيقول (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ....)[xxxviii].

فضلا عن إن التاريخ منذ بدء الخليقة إلى اليوم لم يذكر إن رسول الله (ص) سمي إسرائيل.و الحكم على هذه الروايات بأنها مجموعة أكاذيب لا ريب فيه و لاشك.

3- ذكر العياشي في تفسيره للآية الكريمة (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)[xxxix]-

وهي من ظواهر القرآن – حديثا عن عبد الصمد بن بشير عن الإمام الصادق (ع) يقول فيه: ((إن رسول الله (ص)كان نائما في ظل الكعبة فاتاه جبرائيل و معه طاس فيه ماء من الجنة فأيقظه و أمره أن يغتسل به ثم وضعه في محمل له الف الف لون من نور ثم صعد به حتى أتى إلى أبواب السماء فلما رأته الملائكة نفرت عن أبواب السماء و قالت :الهين اله في الأرض و اله في السماء!!))[xl].

و على الرغم من أن عبد الصمد بن بشير قد وثقه النجاشي في الرجال[xli] ,إلا أن متن الرواية اقل ما يقال فيه انه من الموضوعات. فالرواية تعد الملائكة مجموعة من الجهلة الذين ليس لهم ادنى معرفة بالله تعالى ،إذ أنها تدعي إن الملائكة بمجرد أن رأوا رسول الله (ص) ظنوا أنهم أمام اله جديد صعد من الأرض, و هذا الكلام ينبئ بجهالة الراوي بتعاليم القرآن الكريم الذي صرّح إن جميع الملائكة هم موحدون كما جاء في سورة آل عمران من قوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ)[xlii] على خلاف رواية ابن بشير التي تذهب على لسان الإمام الصادق (ع) بأن الملائكة من المشركين الذين لا يميزوا بين الله الواحد الأحد و بين رسوله (ص) الذي هو من البشر (إنما أنا بشر مثلكم) بينما الآية محل البحث وهي الآية 285 من سورة البقرة تقرر إن الأيمان بالملائكة واجب بعد الإيمان بالله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)[xliii].

و لم يكتف الراوي بنسبة الجهل إلى الملائكة,و إنما نسبه أيضاً إلى رسول الله (ص) إذ جاء في ذيل ذات الرواية ما نصه :((ومر النبي (ص) حتى انتهى إلى السماء الرابعة فإذا هو بملك وهو على سرير تحت يده ثلاثمائة الف ملك,تحت كل ملك ثلاثمائة الف ملك,فهم النبي (ص) بالسجود وظن انه الله...! فنودي أن قم فقام الملك على رجليه ,قال فعلم النبي (ص) انه عبد مخلوق,فلا يزال قائماً إلى يوم القيامة))[xliv].

فالراوية تقرر أن النبي (ص) كان قد عزم على السجود للملك بتصور انه الله تعالى .و لذوي البصيرة أن يحكموا على هذا النوع الخرافي من الروايات

التي وضعت على السنة الأئمة ,ثم تناولها أصحاب التفاسير دون تدبر و ضمّنوا بها كتبهم ، دون ادنى شعور بالمسؤولية الشرعية و الأخلاقية والتاريخية.

4- في تفسير (البرهان) للمحدث البحراني (ت 1106 هـ) نقرأ في ذيل الآية الشريفة (**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيمَ**)[xlv] :

(شرف الدين النجفي قال روي عن مولانا الصادق (ع) انه قال :قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيمَ) أي إن إبراهيم (ع) من شيعة النبي (ص) فهو من شيعة علي (ع))[xlvi].

وبحسب ما أورد البحراني فليس لهذه الرواية التي نقلها شرف الدين النجفي سند متصل ,هذا من جهة, و من جهة أخرى فأن كل من يقرأ سورة الصافات مليا يتبين له خطأ هذا التأويل حيث يقول الله تعالى في هذه السورة (**سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ❁إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ❁إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ❁ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ❁وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيمَ**)[xlvii].

فالآية الكريمة لم تذكر اسم الإمام علي (ع) لكي يعود الضمير في (شيعته) إليه ,أما اسم نوح (ع) فقد ورد صريحا في الآيات الشريفة,و يكون مفاد الآية: إن إبراهيم كان من شيعة نوح ,و بالتالي فمن الخطأ الفادح أن نفسر كل كلمة (شيعة) في القرآن الكريم على إنها تعني شيعة الأمام علي (ع) دون النظر إلى السياق في الآيات الشريفة ,و دون النظر في دلالة هذه الآيات على اقل تقدير.

5- وجاء في تفسير البرهان للمحدث البحراني أيضا في معنى الآل في سورة الصافات[xlviii], قال (ابن بابويه قال :حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن يحيى العطار عن محمد بن احمد عن إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال :قلت لأبي عبد الله (ع) :جعلت فداك من الآل ؟قال :ذرية محمد (ص) ,قال : قلت : فمن الآل؟ قال :الأئمة عليهم السلام ,فقلت : قوله عز و جل(**ادخلوا آل فرعون اشد العذاب**)؟ قال : و الله ما عنى إلا ابنته)[xlix].

و الرواية ضعيفة بضعف محمد بن سليمان الديلمي الذي قال عنه النجاشي (ضعيف جدا لا يعول عليه في شيء)[l] و أكد العلامة الحلي ذات المضمون[li] . وهي تخالف القرآن الكريم إذ تدعي بأن آل فرعون تعني ابنته ,و المعنى مرفوض بقوله تعالى (**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**)[lii] و قوله تعالى (**وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**)[liii] ,على إن آل فرعون الذين غرقوا في اليم لم يكونوا سوى جيش فرعون كما أخبرنا الكتاب العزيز بذلك في قوله تعالى (**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**)[liv], و أيضاً يقول عز من قائل (**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**)[lv].

و على هذا الأساس يكون معنى (آل فرعون) الذين غرقوا في اليم أو سيواجهون أشد أنواع العذاب في القيامة غير منحصر ببنت فرعون فقط كما تزعم الرواية ,خصوصاً إن كلمة آل فرعون وردت في الآية موضع البحث مع ضمائر الجمع المذكر كما جاء في القرآن الكريم (**و حاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب**).

6- أورد الفيض الكاشاني (ت 1019 هـ) في تفسيره الصافي ، فيما يخص تفسير الآية الأولى من سورة النجم ,قوله تعالى (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**) الرواية الآتية:

((في المجالس عن ابن عباس قال :صلينا العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله (ص) فلما سلم اقبل علينا بوجهه ثم قال : انه سينقض كوكب من السماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم ,فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيي و خليفتي و الإمام من بعدي ,فلما كان قرب الفجر جلس كل منا في داره ينتظر سقوط الكوكب في داره و كان اطمع القوم في ذلك أبي العباس بن عبد المطلب (ع) ,فقال رسول الله (ص) لعلي(ع) يا علي و الذي بعثني بالنبوة لقد وجبت لك الوصية و الخلافة و الإمامة من بعدي ,فقال المنافقون عبد الله بن أُبي و أصحابه : لقد ظل محمد في محبة ابن عمه وغوى و ما ينطق في شأنه إلا بالهوى فانزل الله تبارك و تعالى : **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**.....))[lvi].

و قد حذف صاحب التفسير سند الرواية المذكور في المجالس التي هي أمالي الشيخ الصدوق الوارد هناك كالآتي :

((حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي الكوفي ,قال حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي, قال حدثنا محمد بن احمد بن علي الهمداني, قال :حدثني الحسين بن علي, قال حدثني عبد الله بن سعيد الهاشمي, قال حدثني عبد الواحد بن غياث,قال حدثني عاصم بن سليمان, قال حدثنا جوير بن الضحاك عن ابن عباس .....))[lvii].

و هو سند ضعيف إذ يحوي بعض الضعفاء و المجاهيل، أمثال : فرات بن إبراهيم وعبد الواحد بن غياث, فضلاً عن مخالفة محتوى مضمونه للعقل البسيط بحيث لا يخفى وضعه على أحد ,فأن أصغر كوكب في السماء لا تحويه جميع شبه الجزيرة العربية فكيف يسقط في بيت الإمام علي (ع) و يستقر هناك؟,و سورة النجم سورة مكية باتفاق جميع المفسرين وعبد الله بن أبي و أصحابه من أهل المدينة و من المنافقين المعروفين في مرحلة بعد الهجرة, أما العباس عم النبي فقد كان في المرحلة المكية من المشركين بأتفاق المؤرخين و لم يسلم في ذلك الوقت,و قد أسره المسلمون في واقعة بدر وتحرر بعدها و اعتنق الإسلام, فكيف يطمع و هو في حال الشرك أن يكون خليفة لرسول الله؟.

و لا نعلم كيف يخفى على مفسر مثل مقام الفيض الكاشاني كل هذه الحقائق؟ فينقل رواية بمثل هذه المستوى من الضعف المبين ليفسر بها القرآن.

7- ذكر الفيض الكاشاني أيضاً في تفسير قوله تعالى (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)[lviii] الرواية الآتية :

((القمي عن الباقر (ع) قال :الليل في هذا الموضع الثاني غشي أمير المؤمنين في دولته التي جرت له عليه و أمير المؤمنين (ع) يصبر في دولتهم حتى تنقضي))[lix].

والرواية سقيمة في دلالتها حيث تدعي إن الله تعالى قد اقسم بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب,فأن دولته و حكومته غطت على أمير المؤمنين و اغتصبت حقه في الخلافة و معلوم إن القسم لابد أن يكون بما هو مقدس لا بغاصب للخلافة.

ففي الآية الشريفة(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)يقسم الله تعالى بنعمة من النعم التي انعم بها علينا, تلك النعمة العظيمة التي أشار إليها سبحانه في سورة يونس (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ)[lx] و في سورة النمل (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ)[lxi].

و لا نجد هناك أدنى مناسبة لأن ندعي بأن المراد من الليل هو القسم بالشخص الثاني الذي سلب الراحة و الهدوء من المسلمين كما نعتقد و غصب حق أمير المؤمنين بالخلافة و غطاه.

و قد يقال في مثل هذه الأحاديث أنها ناظرة للمعنى الباطني للآيات الذي لا ينسجم مع المعنى الظاهري لها , و الجواب إن المعنى الباطني مهما كان بعيدا فلا بد أن يكون له ارتباط بشكل من الأشكال بالظاهر. لأنه لو تقرر أن لا يكون لهذا المعنى ارتباط أطلاقاً بكلام الله و منفصل عن ظاهر الآيات، فكيف يمكننا في هذه السورة أن ننسب هذا المعنى إلى القرآن الكريم؟ هل أن هذا المعنى يختلف عن المعاني الأخرى التي لا علاقة لها بالقرآن و أجنبية عن مفاهيمه؟ وإذا ورد في بعض الروايات أن للقرآن معاني باطنية, فإن في نفس هذه الروايات يقرر أهل البيت ما لا ينسجم مع ما ذكر للمعنى الباطني إذ نقرأ في تفسير الصافي نفسه :(عن أمير المؤمنين (ع) قال : ما من آية إلا لها أربعة معاني, ظاهر و باطن و حد و مطلع. فالظاهر التلاوة و الباطن الفهم و الحد هو أحكام الحلال و الحرام و المطلع هو مراد الله من العبد بها)[lxii].

وكما نلاحظ فإن جميع هذه الأمور لها إرتباط معين بظاهر الآيات الكريمة، بحيث لا يخفى على إدراك الإنسان و فطنته, إن باطن الآيات هو مفهوم الآيات وما يستوحيه الإنسان بعقله و إدراكه من رموز و أسرار عميقة في مضامين الآيات الشريفة ،لا انه معنى لا ينسجم مع المفهوم من الآية.

و نقرأ كذلك في تفسير الصافي :

(العياشي بإسناده عن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الرواية : ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن و ما فيه حرف إلا له حد و مطلع,ما يعني بقوله ظهر وبطن ؟ قال ظهره تنزيله و بطنه تأويله, منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد.يجري كما تجري الشمس و القمر كلما جاء منه شيء وقع....)[lxiii].

فكما نلاحظ أن الإمام الباقر (ع) يقرر إن باطن القرآن هو (مصاديق الآيات) التي إذا ظهرت انطبق عليها المفهوم من الآيات الشريفة وهذا غير ما ذكر من المعاني المخالفة لظاهر الآية الكريمة.

الخلاصة أن باطن القرآن في رواية أهل البيت ورد بمعنيين احدهما : (المطلع) أو المعنى الكامل للآية القرآنية , والثاني : (التأويل) أي مصاديق الآيات ، أما من يريد تغيير المراد من الآيات بذريعة الباطن, كأن يفسر الخمر مثلاً بالخليفة الفلاني أو الليل بالخليفة عمر وغيره. فهذا المعنى مخالف لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام كما ورد في تفسير العياشي :(عن أبي عبد الله (ع) انه قيل له روي عنكم أن الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجال, فقال: ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعقلون)[lxiv].

ومن البديهي أن ما ذكره الإمام الصادق (ع) في هذه الرواية يعد قاعدة كلية لها إطلاق شمولي لجميع الحالات و المصاديق من باب إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب, فلا بد إن ننظر إلى جميع التأويلات التعسفية والتفاسير التي تأبى الحمل على أنها مسميات لا علاقة لها بأصل الموضوع

ولو قيل : أن سند علي بن إبراهيم لا إشكال فيه, و تأويل الآية ورد عن ثقات, فالجواب هو إن مضمون الحديث إذا كان مخالفا للقرآن الكريم فلا ينبغي النظر إلى السند لانتفاء الحاجة إلى ذلك كما ذكر العياشي نفسه في تفسيره :

عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله (ع):(يا محمد ما جاءك في رواية من بر و فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به)[lxv].

إذن فالميزان القطعي و المعيار السليم في قبول الحديث هو موافقته للقرآن الكريم فإذا لم يكن الحديث موافقا و منسجما مع آيات الكتاب الحكيم فلا ينبغي الاعتماد عليه و قبوله حتى لو كان الراوي من الثقات و من أهل الخير و الصلاح.

8- ومن هذا القبيل ما أورده الشيخ الكليني في كتاب الكافي في باب (إن الأئمة نور الله عز و جل)[lxvi] .في تفسيره لآية النور, حيث تدعي هذه الرواية بأن المصباح و الزجاجة هما الحسن و الحسين عليهما السلام و الكوكب الدري هي السيدة فاطمة الزهراء, و أن الظلمات في البحر اللجي هما أبو بكر و عمر..... إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة التي وضعها أعداء الأئمة و مذهب أهل البيت عليهم السلام للإساءة إليهم. حيث نسبوا إلى الأمام الصادق (ع) التلاعب بالآيات الكريمة و تحريف المراد منها إلى ما يوافق أهواء هؤلاء الغلاة الكذابين. لأن من الواضح انه لو كان (المصباح) و (الزجاجة) هما الإمامين الحسن و الحسين عليهما السلام لكان معنى قوله تعالى (المصباح في زجاجة)هو أن الأمام الحسن (ع) في الأمام الحسين (ع) ويكون معنى (الزجاجة كأنها كوكب دري) أن الأمام الحسين (ع) كأنه السيدة فاطمة الزهراء (ع), و قد نسي الراوي أن يصنّف أمير المؤمنين (ع) ضمن هذه التسميات لسبب بسيط و هو انه لم يجد في الآية الكريمة كلمة يمكن تأويلها به !! وبعد ذلك (فالظلمات) جمع (ظلمة) و الحال انه لو كان المراد منها أبو بكر وعمر ,لكان الأولى أن يأتي بها بصيغة التثنية (ظلمتان).

و الأمر الآخر إننا نجد الراوي ذاته تجرأ في تفسير آية أخرى من القرآن وفق نفس المنهج البائس و عبث بمعناها على لسان الأمام الصادق (ع) وهي الآية 8 من سورة التحريم في قوله تعالى (**يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**) فقد فسر الراوي في هذه الآية النور بأنه الإمام علي (ع)[lxvii].

و كما نرى أن قوله تعالى (**وَالَّذِينَ آمَنُوا**) معطوف على (النبي), فلو كان المراد من النور هو الأمام لكان المعنى حينئذ (إن الأمام الذي يعد تابعاً للنبي و مهتديا بهداه. يقود النبي و المؤمنين إلى الجنة !!). ويكون معنى قوله تعالى (**رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**) :إن النبي و المؤمنين يدعون الله بأن يتمم ويكمل لهم إمامهم. أي (ربنا أتمم لنا إمامنا), فهل هناك نقص في الإمام حتى يدعوا هؤلاء لإتمامه ؟ و هل راوي الحديث أو الشيخ الكليني ذاته ملتفت إلى هذه اللوازم الباطلة و المعاني الفارغة ؟!.

يقول العلامة السيد هاشم معروف الحسني في معرض نقده لهذا الحديث[lxviii] :(قد يضطر الباحث إلى التأويل أو التفسير أحياناً لتوضيح المراد من الرواية على شرط أن لا يكون التأويل بعيداً و أن لا يخرج عن حدود المنطق والعقل كما هو الحال في الروايات السابقة و أمثالها,أما هذه الرواية و نظائرها فلا يقبل التأويل و لا يجوز للباحث المجرد أن يتجاوز عيوبها, و ذلك لأن التفسير الذي نسبه الراوي إلى الأمام الصادق يبعد كل البعد عن ظاهر الآية, و لا يؤيده الأسلوب القرآني,هذا بالإضافة إلى أن الإمام الصادق (ع) ارفع شأناً و اجل قدراً وابعد تفكيراً من أن يهاجم الخلفاء الثلاثة بهذا الأسلوب البعيد عن منطقه ومنطق أبائه الكرام. ويفتعل لنفسه و لجدته فاطمة و الأئمة عليهم السلام العظمة عن طريق هذه التأويلات التي لا يؤيدها النقل و لا يقرها العقل).

و ما قد يقال عن تفاسير الإمامية يقال أيضاً عن تفاسير العامة بل هي اشد تنكيلاً حين توصّف مصادرها المعتمدة بأنها صحاح لا يأتيها الباطل من بين يديها, في مقابل اعتراف مؤلفي الكتب الأربعة الإمامية باحتمالية وجود الضعيف و الموضوع بين دفتي مؤلفاتهم, وهكذا كانت تفاسير العامة عرضة بشكل واسع لدخول الإسرائيليات و الفضائل و غيرها من روايات الصحابة التي اعتبرت في منظورهم بحكم المرفوع إلى النبي, الأمر الذي جعل إشكالية النقد و التمحيص أكثر تعقيداً, خاصة وأن أكثرهم لم يصحح روايات العرض على القرآن الكريم حتى مع التعارض, مما يمكن أن يشكّل آفة خطيرة تجتاح هذه التفاسير و تجعل أمر الاستناد إليها في مقام التشريع و التعبد ضرّب من المحال.

يقول السيد الحسني بعد أن نقل مجموعة من روايات العامة (أن هذه المرويات التي نقلتها عن بعض محدثي السنة لا تعبر إلا عن رأي المغالين في خلفائهم و أوليائهم, فكذلك بعض المرويات الشيعية في علي و بنيه الأئمة الأطهار فإنها لا تعبر عن رأي الشيعة و بعضها يتنافى مع أصول الإسلام والتشيع.....)[lxix].

سادسا: مسؤولية البحث المعاصر

لا شك أن آفة التفسير بالأثر تركت بصمات داكنة في ملامح الشريعة الإسلامية من الناحية العقائدية و من الناحية التشريعية, و أنتجت ثغرات كبيرة أتاحت الفرصة أمام أعداء الإسلامٍ لضربه و الاستهانة بثوابته أصولا و فروعاً . فالمفاهيم الغربية الجديدة تحاول أن تجعل الإسلام دينا للعنف وعقيدة الدم, و التيارات الإسلامية المتطرفة استخدمت التأويل و تزييف المفاهيم لإثبات وجهات نظرها في الجهاد والتكفير وتبرير الجرائم ضد الإنسان و عقيدته. و العلمانيون استفادوا من أفكار و تجارب هؤلاء و هؤلاء في التخطيط لاستبعاد الدين كمصدر أساسي للتشريع.

ولعل تسلسل النتائج والتداعيات يوضح أساس العلة التي ابتدأت عند حظر تدوين الحديث الذي لم يُرفع إلا بعد مضي قرن من الزمان الأمر الذي أتاح للكثيرين أن يؤلفوا ما شاء لهم بأسم المعصومين من تقولات و تخرصات أصبحت فيما بعد نصوصا مقدسة صحيحة ليس لأحد أن يطعن عليها كذبها و افتراءها على الرسول و الأئمة المعصومين عليهم السلام. إذ تمسك العامة بكتب الصحاح عندهم وجعلوا بعضها بعد كتاب الله مرتبةً و لم يجوزوا نقدها أو تمحيصها أو دراسة ما فيها على أقل التقادير, و تبعهم في ذلك إخبارية الأمامية بالنسبة لما ورد في الكتب الأربعة على أنها أيضاً من الصحاح التي لا تحتمل الضعف أو الدس أو التزوير, و الحقيقة الواقعة التي أثبتها البحث المعاصر و أقتنع المعتدلون الموضوعيون بضرورتها أنّ لا صحيح في الحديث الشريف دون جرح و تعديل و تقييم و تقويم و نقد و تمحيص و دقة دقيقة في التعامل مع كل ذلك.

و على الرغم من جميع الدراسات التي تقدم بها علماء و باحثون أفاضل من أجل نشر ثقافة التصحيح و نفي ظاهرة تقديس النص الظني بكل ما يحتويه من سلبيات تنافي العقيدة و تضرب الثوابت و تسيء إلى الكثير من التشريعات التي أقرها القرآن الكريم و أكدتها السنة النبوية الشريفة.

على الرغم من ذلك كله ما زلنا نعيش في وسط اجتماعي و علمي يشهد فوضى عارمة و تخبط واضح في المفاهيم بسبب الغلو و التطرف والتزمت و الابتعاد عن الموضوعية و التمسك بذاتية الرأي دون دليل علمي و لا أساس مقبول.

كل ذلك لا يمكن التصدي لإصلاحه بجهد فردي أو عمل شخصي أو محاولة تقليدية, و إنما يحتاج الأمر إلى مشروع مؤسساتي حضاري كبير على غرار المشاريع الإحيائية للتراث المدعومة من قبل مرجعيات دينية و مؤسسات خيرية و علمية ، فضلا عن الإستعانة بعشرات من العلماء المحققين المؤمنين بضرورة الإصلاح و حتمية التغيير في مواجهة الغرب الذي يعمل بمنهجية فائقة للنيل من العقيدة الإسلامية, ومقارعة المد السلفي و التكفيري الذي يستهدف التشيع بالدرجة الأولى, على إن يكون ذلك بمنهجية عالية و بفكر واع متجدد, و عقلية مدركة لخطورة القضية, و مستوى عالٍ من المهنية في العمل, و الفنية في الإبداع, على أن يتضمن هذا المشروع كفكرة مقترحة الخطوات الآتية و التي يمكن اعتبارها ورقة عمل أولية :

1- إجراء إحصائية دقيقة لمصنفات الحديث المخطوط منها و المطبوع. القديم منها و المتأخر و المعاصر أي هي بعبارة أخرى عملية جمع للأصول و الفروع.
2- تحقيق ودراسة هذه الأصول سندياً دراسة نقدية فاحصة لتفاصيلها و محتوياتها وتطبيق قواعد الجرح والتعديل على المرويات الواردة فيها باستخدام كتب الرجال و قواعد الحديث و طرق التحمّل ومن ثم أجراء عملية عزل و تنقية لكل ما لا يتوافق مع هذه القواعد والمصادر والطرق.
3- تحقيق و دراسة المتون على وفق القواعد و الأساليب المتفق عليها بين علماء الفن, كالعرض على القرآن الكريم و مطابقة السنة القطعية و الاستدلال بالعقل, و الاستفادة من التأريخ الثابت والصحيح, و استثناء ما لا يتوافق مع أصول العربية وقواعد بلاغتها, أو ما تنفي العادة صدوره عن مثل مقام المعصومين, وغير ذلك مما يضمن لنا عدم وجود متن ضعيف أو موضوع يخترم الأصول الصحيحة و الثابتة الصدور.
4- بعد تنقية الأصول الحديثية الأربعة-على الأقل – مما لا ينطبق عليه وصف الصحيح,نكون قد اجتزنا المرحلة الأولى التي يمكن أن نطلق عليها ((المرحلة التأسيسية)) التي أنتجت أصولاً حديثية صحاح نقية من الشوائب و الأدران وخالية من الضعيف و الموضوع, و عندئذ لا غرو أن أطلقنا على الكافي : ((صحيح الكافي)) و على الفقيه : ((صحيح الصدوق)) و على كتابي الطوسي : ((التهذيب الصحيح)) و ((الاستبصار الصحيح)), و حينها تنطبق التسمية على المسمى بخلاف صحاح العامة الستة التي لا ينطبق فيها العنوان على المعنون ولا الشرط على المشروط.
5- أن جميع المصنفات الجامعة للحديث و التي اعتمدت على الأصول الأربعة من قبيل: وسائل الحر العاملي و بحار المجلسي و غيرها سوف تنضوي تلقائيا تحت راية التصحيح حينما تجد إن مادتها الأولية بعد التقويم ما عادت من الأصول الصحيحة المسلّمة, و أن القدسية التي كانت تتمتع بها كثير من رواياتها لم تصمد أمام النقد الموضوعي, و أنما خضعت لعدة عمليات تساقطت أثناءها العديد منها , و في الوقت نفسه ثبت ما تبقى في هذه الأصول من الصحيح الذي يعمد إليه كمصدر رئيس من مصادر التشريع.
6- بعد طبع الصحاح الجديدة و انتشارها, وتصحيح مصنفات المتأخرين التي اعتمدت عليها كلياً أو جزئياً,مما يمكن أن نطلق عليه ((مرحلة الاستثمار)) يأتي دور مصنفات التفسير التي اعتمدت على الأثر, فهي أيضاً سوف تجد نفسها بروياتها الضعيفة و الموضوعة غريبة بين تلك الجهود التي قامت بمشروع الإصلاح,فلا بد أن تنسحب تلك الجهود إليها تطهيراً مما تضمنته من تفسيرات أو تأويلات لآيات القرآن الكريم لا أساس لها من الواقع كالذي مر بنا قبل قليل من الأمثلة مما لا يعبر عن مراد الله تعالى من تلك الآيات.
7- لا يمكن لكل تلك الجهود أن تكلل بالنجاح دون أن تنتشر في أوساط المجتمعات الإسلامية ثقافة التجديد, و دون أن تكون هناك أرضية صالحة

للعمل من خلال انتشار ثقافة الوعي النقدي و إلغاء تقديس النص المظنون على انه عقيدة راسخة, و بعكسه سوف يجابه هذا المشروع باتهامات من التسقيط و التكفير و التلاعب بالتراث ومحاولة النيل من العقيدة الإسلامية و الإساءة إلى الثوابت, وما إلى غير ذلك مما واجهه العديد من المصلحين الذين حاولوا تبني هذا المشروع سابقاً، والله تعالى الموفق الى الطريق الصحيح ، طريق الصواب والسداد ، ومنه نستمد العون والتوفيق ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الاخيار .

هوامش البحث

[1]أمثال الموضوعات لأبن الجوزي (ت598 هـ) , اللآلي المصنوعة للسيوطي(ت 911 هـ) وتنزيه الشريعة للكناني العراقي (ت 963 هـ) وغيرها.

[2] أمثال الأخبار الدخيلة لمحمد تقي التستري.و كتابي الموضوعات الكبرى والموضوعات الصغرى لملا علي القاري (ت1014هـ)و اللؤلؤ الموضوع للقاوقجي و غيرها.

[3] أمثال سلسلة الأحاديث الموضوعة لناصر الدين الألباني .و الموضوعات في الأخبار و الآثار لهاشم معروف الحسني و الحديث الموضوع لياسر الشمالي و كثير من البحوث والمصنفات التي يضيق بها الهامش.

[4] كان أخرها رسالة السيدة إيمان الأسدي الموسومة ((ظاهرة وضع الحديث في القرن الثاني الهجري)) التي منحت لأجلها شهادة الماجستير في الشريعة من كلية الفقه/جامعة الكوفة2007 .

[5] السيد الخوئي ,معجم رجال الحديث:39/1

[6] الشوكاني ,أرشاد الفحول :151

[7] الشاطبي ,الموافقات :8/4

[8] د.الصغير ,محمد حسين ,المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم :74

[9] الخوئي ,البيان في تفسير القرآن:22

[10] ابن تيمية,مقدمة في أصول التفسير:93

[11] نفسه:94

[12] ظ: الطوسي,عدة الأصول :44 و هو رأي الشريف المرتضى و ابن إدريس الحلي :ظ: السرائر:2

[13] الطوسي,التبيان4/1

[14] الصغير , المرجع السابق :56

[15] ينظر :الجواهري ,حسن :الأئمة و دورهم في حفظ السنة:72-80

[16] ظ:منها 94-115

[17] لمزيد من الاطلاع و التوضيح :ظ :محمد باقر الصدر ,بحوث في علم الأصول – تقريرات أية الله السيد محمود الهاشمي 28/7 و ما بعدها ,محمد باقر الحكيم ,علوم القرآن:374 و ما بعدها.

[18] ظ : الصغير :المرجع السابق :30 و ما بعدها

[19] ص :29

[20] محمد :24

[21] النساء:82

[22] المؤمنون :68

[23] ظ: الصغير, المرجع السابق : 40

[24] السيوطي , الإتقان:185/4
[25] الزركشي ,البرهان:176/2
[26] البقرة :26
[27] تفسير القمي :31
[28] رجال النجاشي :417 برقم1114
[29] رجال العلامة :408 برقم 1652
[30] تنقيح المقال في أحوال الرجال :150/1/1
[31] مجمع البيان في تفسير القرآن:135/1
[32] البقرة /47
[33] تفسير العياشي :157/1
[34] ظ: رجال الطوسي :440 برقم 6282
[35] رجال النجاشي :350 برقم 944
[36] رجال العلامة : 246 برقم 836
[37] البقرة :41
38 الإسراء :3
[39] البقرة :285
[40] تفسير العياشي :157/1
[41] ظ :288 برقم654
[42] آل عمران :18
[43] البقرة :285
[44] تفسير العياشي :158/1
[45] الصافات :83
[56] هاشم بن سليمان البحراني ,البرهان في تفسير القرآن:419/6
[47] الصافات :79-83
[48] الآية :130
[49] البحراني ,تفسير البرهان :451/6
[50] رجال النجاشي :365 برقم987
[51] خلاصة الأقوال :402 برقم 1624
[52] البقرة :50
[53] الأنفال :54
[54] القصص:40
[55] طه :78
[56] الصافي في تفسير القرآن:617/2-618
[57] الصدوق : الآمالي :
[58] الليل :1
[59] تفسير الصافي :824/2
[60] يونس :67
[61] النمل :86
[62] الصافي في تفسير القرآن :17/1
[63] نفسه :17/1-18
[64] تفسير العياشي :241/1
[65] نفسه :8/1
[66] الكافي : 150/1
67 نفسه .
8[6]دراسات في الحديث و المحدثين
[69] الموضوعات في الاثار و الأخبار :319

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم - كتاب الله .

البحراني ,هاشم بن السيد سلمان الحسيني (ت 1107 هـ).

1- البرهان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي , بيروت 1419 هـ/1999 م).

ابن تيمية ,أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي الحراني (ت 728 هـ).

2-مقدمة في أصول التفسير (تحقيق:د.عدنان زرزور, دار القرآن الكريم,الكويت 1971م).

الحسني , السيد هاشم معروف .

3-دراسات في الحديث و المحدثين(دار التعارف. بيروت 1978 م).

4- الموضوعات في الأخبار و الآثار (دار الكتاب اللبناني, بيروت 1973 م).

الحكيم ,محمد باقر (السيد).

5-علوم القران (دار التعارف. بيروت,1415 هـ/1995 م).

الخوئي,السيد أبو القاسم الموسوي (المرجع)
6-معجم رجال الحديث (مطبعة الآداب, النجف 1390 هـ/1999 م).
7-البيان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي , بيروت 1420 هـ/1999 م).
الزركشي,بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794 هـ).
8- البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربية, القاهرة 1957 م).
السيوطي,جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ).
9-الإتقان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, مطبعة المشهد الحسيني ,القاهرة 1967 م).
الشاطبي, أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي (ت 790 هـ).
10-الموافقات في أصول الشريعة,(المطبعة الرحمانية,مصر).
الشوكاني,محمد بن علي (ت 1255 هـ).
11-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (تحقيق:محمد صبحي بن حسن الحلاق,دار ابن كثير,بيروت 1421 هـ/2000 م).
الصغير محمد حسين (الأستاذ الأول المتمرس ,الدكتور).
12-المبادئ العامة لتفسير القرآن (دار المؤرخ العربي,بيروت 1995 م).
الطبرسي,أبو علي الفضل بن الحسن (ت538هـ).
13- مجمع البيان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت 1995/1425 م).
الطوسي,أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 538 هـ)
14- العدة في أصول الفقه (تحقيق محمد رضا الأنصاري,قم 1417).
15-التبيان في تفسير القرآن (المطبعة العلمية و مطبعة النعمان, النجف 1383 هـ/1963 م).
16الرجال (تحقيق جواد القيومي الأصفهاني,مؤسسة النشر الإسلامي, قم 1427 هـ).
العياشي ,أبو النضر محمد بن مسعود السمرقندي (ت 320 هـ).

17-تفسير العياشي (المكتبة العلمية الإسلامية,طهران 130 هـ).
الفيض الكاشاني الملا محسن (ت1091 هـ).
18- تفسير الصافي (منشورات مكتبة الصدر,طهران 1379ش).
العلامة,الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي (ت726 هـ).
19-خلاصة الأقوال في معرفة الرجال (تحقيق جواد القيومي,مؤسسة نشر الفقاهة .قم 1442هـ).
الكليني , أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي(ت 329 هـ).
20- الكافي ، تحقيق :علي اكبر غفاري ,دار الكتب الإسلامية طهران 1388 هـ).
المامقاني ,عبد الله بن محمد حسن (ت1315 هـ)
21-تنقيح المقال في أحوال الرجال (المطبعة المرتضوية,النجف 1350 هـ).
22- النجاشي, أبو العباس أحمد بن علي (ت 450 هـ).
رجال النجاشي (تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني,قم 1427 هـ).

خلاصة البحث

تؤسس هذه الدراسة لمشروع علمي جديد يتبنى تصحيح وتنقية التراث الحديثي مما لحق به من شوائب وآثار انعكست سلبيا على كثير من المفاهيم الأسلامية وأخرجتها عن حدودها التي رسمها الله تعالى في كتابه العزيز , الأمر الذي أتاح للمغرضين وللتيارات التكفيرية , خاصة الماصرة منها أن تستخدم هذه الطروحات للطعن في الأسلام وخصوصا مذهب أهل البيت في محاولة للنيل منه متذرعة بما وضع على ألسنة المعصومين من أحاديث باطلة لا تمثل العقيدة الأسلامية ولا تتصل بمفاهيمها لا من قريب ولا من بعيد , ويتناول هذا البحث في خطوطه العريضة
من الناحية التطبيقية مجموعة من الروايات التي أستخدمت في تفسير القرآن الكريو
محاولا أثبات عدم موضوعيتها وصمودها أمام النقد العلمي من خلال أستخدام أدوات
النقد الحديثي الخاص بالأسناد من خلال تتبع توثيقات الرجال , والخاص بالمتن عن
طريق دراسته دراسة تحليلية لأبعاد النص الحديثي والتي أثبت الباحث من خلالها
ضرورة النظر الى هذا المشروع نظرة موضوعية لأستأصال البفسيرلت العشوائية
وغير الواقعية للقرآن الكريم والتي تسي ء الى هذا الكتاب العظيم والى سنة رسوله
الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

In the name of Allah most merciful most gracious

Research summary

This study establishes a new scientific project that adopts Correcting and purifying the heritage of (al Hadeeth), as it was Corrupted and accompanied by tarnishes as do its traces which was and still reflected negatively to many Islamic concepts ,yet this is not always the case ,these tarnishes exceeded their limits, the linits and concepts that were given by Allah in his glorious Quran ,the case that gaven the chance to tendentious and penitential groups especially the modern ones,they used these Tricks to stab the Islamic concept particularly (Ahl-Albait) Sect in an attempt to take the Islamic down by misleading claims attributed to the perfect imams' saying; those misleading Claims do not represent the Islamic belief and do not communicate its conceps any more . this research deals also in its broad sense applicably with a group of stories used to interpret the holy Quran ,trying to prove its unsubjectivity and its weakness towards scientific criticism by using narrating methods of criticism that depend on truthful storied related by truthful men by studying the narrating context analytically which the researcher proves through it the necessity of looking into this project a subjective look to root out any arbitrary unrealistic interpretations of the holy Quran that misevaluate

this Holy book and the sunna of its generous prophet (Allah blessings and peace be upon him and his household).